

الملاحح المميزة لمنهج أهل السنة في العقيدة

د / جمال الدين محمد علي تبيدي

الأستاذ المشارك بقسم العقيدة بكلية أصول الدين

مقدمة:

عندما وقع الاختلاف والافتراق في الأمة.. وقف أهل السنة والجماعة الفرقة الظاهرة بالحق تبين «الصواب» ، وتقدم للناس ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الأطهار رضوان الله عليهم أجمعين وتابعهم على ذلك سواد المسلمين. فعُرفَ الذين التزموا منهج الرد إلى القرآن والسنة معتمدين على فهم الجيل الأول بـ «أهل السنة» أو «الجماعة» أو «أهل السنة والجماعة» أخذاً من الأحاديث النبوية الواردة في افتراق الأمة وفي ظهور الفتن والبدع، من ذلك:

ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « افتترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة وسبعين في النار، وافتترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة وإحدى وسبعين في النار والذي نفسي بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة، واثنتين وسبعين في النار. قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: هم الجماعة »^١.

فـ « أهل السنة والجماعة» مصطلح يدل على منهج الفرقة الناجية، وكان يقابله في أول الأمر مصطلحان: «الشيعية» و«الخوارج».

وبمرور الأيام ظهر من بين أهل السنة والجماعة أناس خالفوا «المنهج» الصواب.. وخاصة بتأثير علم الكلام و الفلسفة.. وتتوعد درجات مخالفة المنهج في البعد عن الحق، إلى أن وصلت فرقاً إلى المروق من أصل الدين..

^١ سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ١٤٩٢

ومع ذلك بقي مصطلح «أهل السنة والجماعة» يشملهم من الناحية التاريخية.. لأن معظم الناس جعلوه مقابلاً لـ «الشيعية» وهذا خطأ من الناحية العلمية فمصطلح أهل السنة أو أهل السنة والجماعة يعني: المنهج الذي يتوصل به إلى معرفة الحق والصواب في كل قضية تتصل بالقرآن والسنة

وهذا المجال فيه مسرح للمجتهدين في معرفة وبيان مسائل الأصول المعروفة بمسائل العقيدة وقد تباينت فيها الأقوال والمذاهب، و الفرق التي تتوع اجتهداها في مسائل الكلام ربما تربو على مجتهدى الفروع، وهي تستدل وتحكم وتبرهن وتقضى وتجادل خصومها بآخذها وترى أن ما تستدل عليه هو الحق. وجلى أن ما يبعث على بذل الجهد في الفروع، هو نظير ما يبعث عليه في الأصول، أو أعظم منه، فإن مسألة القدر والصفات و الرؤية لما تشابهت الآيات والأخبار فيها، ذهب كل فريق إلى ما رآه أوفق لكلام الله وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام، وأليق بعظمة الله سبحانه، وثبات دينه. فكانوا لذلك مجتهدين، وإن كانوا في القرب من الحق متفاوتين..٢٠

ولسنا بصدد الحكم على تلك المذاهب والفرق، ولكنا بصدد بيان الملامح الأساسية لمذهب أهل السنة، وطريقتهم في تناول مسائل الاعتقاد.

الملح الأول: أفراد مسائل العقيدة بكتب ضمن كتب الحديث

لمنهج السلف عدة سمات تميزه عن مناهج المتكلمين في تناول مسائل الاعتقاد ويظهر ذلك في الكتب التي ألفوها في مجال العقيدة، وتلك الكتب، إما أن تكون كتباً مستقلة أو مضمنة في الكتب التي جمعت السنن، كما فعل البخاري ومسلم، وغيرهما في صحيحيهما، وأهل السنة يعتمدون على نصوص الكتاب والسنة،

^٢ انظر تأريخ الجهمية والمعتزلة لجمال الدين القاسمي ص ٧٧-٧٨

فما من مسألة يوردونها إلا ويحتجون عليها بعدد من نصوص الكتاب والسنة، فمن كتب صحيح البخاري:

كتاب بدء الوحي - كتاب الإيمان - كتاب بدء الخلق - كتاب أحاديث الأنبياء - كتاب القدر - كتاب التوحيد

و من كتب العقيدة في صحيح مسلم:

كتاب الإيمان - كتاب الكهانة - كتاب صفة النار - كتاب صفة القيامة - كتاب صفة الجنة - كتاب الرقي - كتاب الطيرة والعدوى - كتاب القدر. وتحت كل كتاب عدد من الأبواب مشتملة على عدد من الأحاديث النبوية والآثار المختلفة عن الصحابة والتابعين في مسائل العقيدة، وكذلك سائر كتب الحديث والسنن والمسانيد والمعاجم والمستخرجات والمستدركات ففي كل مصنف عدد من الأبواب المشتملة على النصوص النبوية الدالة على مسائل العقيدة يوردونها بصورة مباشرة مروية بالإسناد المتصل، وهم يحرصون على إيراد الإسناد ليكون الناظر في كتبهم على بصيرة من أمره، فالعهدة بعد ذلك على الراوي المذكور في كل سند، وقد بينت كتب الرجال أحوالهم.

الملح الثاني: تأليف كتب في العقيدة وتسميتها بكتب السنة

تتميز كتب أهل السنة في مجال العقيدة بأسماء خاصة تميزها عن كتب المتكلمين، حيث ترد كلمة السنة في تسمية كتب العقيدة عندهم، حتى ظن كثير ممن لا يعرف ذلك أن تلك الكتب كسائر كتب الحديث النبوي، وأخطأ كثير من المصنفين في ذلك فجعلها من كتب الحديث العامة، بينما هي من كتب العقيدة المسندة، يقتصرون فيها في أغلب الأحيان على إيراد النصوص والتبويب عليها بعبارة موجزة دالة على الموضوع دون تطويل، أو تعقيد فمن تلك الأسماء (كتاب السنة) و(شرح السنة) و(أصول السنة) و(صريح السنة) ونحو ذلك مثل:

كتاب السنة للخلال

الخلال هو أبوبكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال (٢٣٤ - ٣١١هـ) وكتاب الخلال مشتمل على (٢١٩٦) ألفين ومائة وستة وتسعين حديثاً كلها تدور حول مسائل الاعتقاد والسنة ٢ ويحتوي علي المحاور الآتية:-
تعريف السنة لغة واصطلاحاً.- تعريف السنة عند علماء العقيدة (أهل السنة والجماعة).- تعريف أهل السنة.- تعريف البدعة لغة واصطلاحاً - الأمر بلزوم السنة والحث عليها والنهي عن البدع والتحذير منها - النصوص من القرآن السنة التي تؤيد ذلك - النصوص المنقولة عن السلف الصالح واتباعهم - مجمل أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة - من قصائد أهل السنة والجماعة في العقيدة - أحكام الأماره وما قيل فيها - تحريم الخروج علي الأئمة- ووجوب ملازمة الجماعة - أحكام الخوارج وأحكام أموالهم وسبلهم - أحكام اللصوص وقتال اللص وما يتوقاه في قتله وكراهية اتباعه اذا ولي - أحكام الخلافة وخلافة الخلفاء - ان اتباع لسنة تقديم ابي بكر التبريع بعلي في الخلافة وذكر خلافة معاوية - رضي الله عنهم - جميعاً - فضائل النبي صلي الله عليه وسلم - وذكر المقام المحمود - فضائل الخلفاء الاربعه الراشدين ثم ذكر فضائل في العشرة رضي الله عنهم - فضائل العباس وولده - السنة في التفضيل والانكار علي من قدم علياً علي ابي بكر وعمر وعثمان والحجة في ذلك واتباع السنة في هذه القضية - ذكر اصحاب النبي صلي الله عليه وسلم - ذكر الروافض والرد عليهم في الجبر والمشيئه والاستطاعه - بيان القدره وحكمهم - الرد علي المرجئه في الإيمان

^٣ مطبوع بتحقيق الدكتور عطية الزهراني دار الراية الرياض الطبعة الأولى ١٤١٠هـ

كتاب السنة لابن أبي عاصم

ابن أبي عاصم هو أبوبكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم من علماء القرن الثالث الهجري المبارك، المتوفى ٢٨٧هـ. وكتاب السنة لابن أبي عاصم مشتمل على ألف وستمئة حديث تزيد حديثين (١٦٠٢) رتبها في مائتين وثمانية وثلاثين بابا (٢٣٨)، أولها (باب التحذير من الأهواء المذمومة) وآخرها (باب فضائل أهل البيت) ٤

ومن أبرز الأبواب والعناوين في كتابه: باب في لزوم السنة - باب الزجر عن محدثات الأمور - باب افتراق الأمة أكثر من سبعين - باب الشرك في المسلمين - باب ذكر القدر - باب في قصة الدجال - باب في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربه - باب في ذكر الروح - باب في حوض النبي صلى الله عليه وسلم - باب ذكر الميزان - باب ذكر الشفاعة - باب في القبر وعذابه - باب الإيمان بالبعث - باب المارقة والحرورية والخوارج - باب في الإرجاء والمرجئة - باب في الوعد والوعيد - باب في ذكر الرافضة - باب في فضائل أهل البيت - باب خير الناس قرني.

كتاب السنة للمروزي

كتاب السنة للمروزي أبو عبد الله محمد بن نصر المروزي ٢٠٢-٢٩٤هـ) والكتاب مشتمل على (٤٣٩) أربعمئة وتسعة وثلاثين حديثا كلها في مسائل السنة والبدعة والاعتقاد كما مر عند الأئمة من أمثاله ٥

٤ مطبوع بدار الصميعي بالرياض السعودية ١٤١٩-١٩٩٨ بتحقيق الأستاذ الدكتور باسم بن فيصل الجوابرة الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض

٥ مطبوع بتحقيق الدكتور عبد الله بن محمد البصيري عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة مطبوع بدار العاصمة بالرياض ١٤٢٢-٢٠٠١م،

فالكتب السابقة اقتصر أصحابها على إيراد النصوص المسندة، وأهل السنة كما أسلفنا، يعتمدون على نصوص الكتاب والسنة، فما من مسألة يوردونها إلا ويحتجون عليها بعدد من نصوص الكتاب والسنة، لا يكتفون بالتفريعات، ولا يوردون المصطلحات الغريبة.

كتاب شرح السنة للالكائي

واللالكائي هو أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الالكائي المتوفى ٤١٨ هـ كتابه شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة مطبوع بدار طيبة بالرياض، ويحتوي الكتاب على كثير من الأبواب في مسائل العقيدة منها:-

باب الحث الشديد بالتمسك بالكتاب والسنة وعن الصحابة والتابعين ومن بعدهم. باب الحث على إتباع الجماعة والسواد الأعظم، والتحذير والوعيد في مفارقة الجماعة. باب لنهي عن مناظرة أهل البدع أو من مجادلهم. والمكالمة معهم والاستماع إلى أقوالهم المحدثنة وآرائهم الخبيثة. باب التعاضد والتماسك في سير السلف جيل بعد جيل أو قرنا بعد قرن. باب توحيد الله عز وجل - وصفاته وأسمائه وأنه حي قادر عالم سميع بصير. باب معرفة الله في الذات والصفات فله الكمال المطلق في ذاته وصفاته. باب أن القرآن كلام الله غير مخلوق. باب النهي عن التفكير في ذات الله عز وجل. باب القدر وما صاحبه من تبعات. باب علامات نبوة الرسول صلي الله عليه وسلم. باب جماع الكلام في الإيمان ((شهادة ألا اله إلا الله وما يصاحبها من أعمال)) . باب زيادة الإيمان ونقصانه. باب الإيمان بالله والملائكة والكتب والرسل والبعث والجنة والنار، والقدر خيره وشره. باب تضليل المرجئة، وهجرانهم وترك السلام عليهم والصلاة خلفهم والاجتماع معهم. باب الشفاعة والمقام المحمود. باب الإيمان بالجنة والنار. باب السحر وإضراره. باب طاعة الأمير والأمراء والحاكم وعدم

الخروج منهم. باب تكريم ابن آدم وفضله أكبر من الملائكة. باب فضائل الصحابة وحبهم من السنة. وكتاب السنة للالكائي مطبوع في ستة أجزاء بتحقيق أحمد سعد حمدان الغامدي

كتاب شرح السنة للبريهاري

البريهاري (كتاب شرح السنة) ٦ ويدور كتابه شرح السنة في محاور كثيرة منها:-

بين أن الإسلام هو السنة والسنة هي الإسلام - بين أن الإسلام هو السنة لزوم الجماعة وما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم - الخروج عن الجماعة هو بدعه - التحذير من الكلام والخصومه والجدال والمراء - الاعتقاد الصحيح في الأخذ في باب الاسماء والصفات - الإيمان بروية الله يوم القيامة - الإيمان بالميزان - الإيمان بعذاب القبر - الإيمان بحوض النبي صلي الله عليه وسلم - الإيمان بالشفاعة - الإيمان بالصراف - الإيمان بالملائكة - الإيمان بالجنة والنار - الإيمان بالمسيح الدجال - الإيمان بنزول عيسي عليه السلام آخر الزمان - الإيمان قول وعمل ونية وإصابة يزيد وينقص أنواع المكفرات (مثل التحدث في الأسماء والصفات والتفكر في ذات الله) - القدر خيره وشره - علم الله محيط بكل شيء - النكاح والطلاق وهي امور فقهيه - لا يحل دم أمري مسلم إلا بثلاث - أحوال القيامة والأمر التي حكم الله عليها بالقضاء - صفات أهل الضلال والتزيغ وهي الطعن في الآثار وردّها أو إنكارها - حذر من الكلام والجدال والخصومه من القدر - الصلاة خلف

٦ هو الامام القدوة المجاهد شيخ الحنابلة وكبيرهم في عهده ابو محمد الحسن بن علي بن خلف البريهاري بفتح الباء الموحده وسكون الراء المهملة وفتح الباء الثانية عاش في الفترة (٢٢٣ - ٣٢٩) وهو مؤلف كتاب شرح السنة.

المبتدعه - الامر بالمعروف والنهي عن المنكر - علامات اهل الزيغ والضلال والطعن في رسول الله صلى الله عليه وسلم - - السنة هي الاعتقاد الكامل بما قاله وفعله النبي صلى الله عليه وسلم - السنة الكاملة غير منقوصه.

كتاب شرح السنة للمزني

إسماعيل بن يحيى المزني^٧ وكتابه مطبوع بدراسة وتحقيق جمال عزون وقد اشتملت رسالة المزني على الأبواب التالية: العلو - القضاء والقدر - الملائكة - آدم عليه السلام - أعمال أهل الجنة والنار - الإيمان - القرآن - الصفات - الآجال - القبر - النشور والحساب - الجنة والنار - طاعة الأئمة ومنع الخروج عليهم - الإمساك عن تكفير أهل القبلة - الصحابة - الصلاة وراء الأئمة والجهاد معهم.

كتاب صريح السنة للطبري

أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى ٣١٠ هـ مطبوع بتحقيق بدر بن يوسف المعتوق الطبعة الأولى دار الخلفاء الكويت ١٤٠٦ - ١٩٨٥

الملح الثالث وقوف السلف عند النصوص

وقوف السلف عند النصوص، وترك الاشتغال بتفسيرها وتأويلها والكشف عن حقائقها الغيبية كان من أبرز السمات التي ميزت منهج السلف الصالحين اذين

٧ المزني هو ناصر مذهب الشافعي، وهو أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمرو بن إسحاق بن مسلم بن نهدة بن عبد الله المصري ١٧٥ - ٢٦٤ هـ عاش تسعا وثمانين سنة، قال المصنف في الطبقات: كان المزني زاهدا عالما مجتهدا مناظرا محجاجا غواصا على المعاني الدقيقة، صنف كتباً كثيرة منها الجامع الكبير والجامع الصغير والمختصر والمنثور، والمسائل المعبرة، والترغيب في العلم، وكتاب الوثائق. وقال الشافعي: المزني ناصر مذهبي مروج الذهب (٥٦/٨)

أحسننا التعامل مع المتشابه من النصوص فأمنوا به ولم ينزلقوا في مهاوي التأويل الفاسد

قال عمر بن عبد العزيز: (قف حيث وقف القوم، فإنهم عن علم وقفوا وببصر نافذ كفوا ولهم على كشفها كانوا أقوى وبالفضل لو كانوا فيها أحرى، ولئن قلتم حدث بعدهم فما أحدثه إلا من خالف هديهم ورغب عن سنتهم، ولقد وصفوا منه ما شفي، وتكلموا منه بما يكفي، فما فوقهم وخسر وما دونهم مقصر. لقد قصر عنهم قوم فجنوا وتجاوزهم آخرون فغلوا وأنهم فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم) ^٨ ومثل ذلك قول الأوزاعي (اصبر نفسك على السنة وقف حيث وقف القوم وقل بما قالوا وكف عما كفوا عنه واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك ما وسعهم) ^٩

ومن أشهر ما روي في كراهية السلف للخوض في تلك المسائل:

ما جاء في قصة صبيغ، ففي سنن الدارمي عن نافع مولى عبد الله: ان صبيغا العراقي جعل يسأل عن أشياء من القرآن في أجناد المسلمين حتى قدم مصر فبعث به عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب فلما أتاه الرسول بالكتاب فقرأه فقال أين الرجل فقال في الرحل قال عمر أبصر أن يكون ذهب فتصيبك مني به العقوبة الموجهة فأتاه به فقال عمر تسأل محدثة فأرسل إلى رطائب من جريد فضربه بها حتى ترك ظهره دبرة ثم تركه حتى برأ ثم عادله ثم تركه حتى برأ فدعا به ليعود له قال فقال صبيغ ان كنت تريد قتلي فاقتلني قتلا جميلا وان كنت تريد ان تداويني فقد والله برئت فأذن له إلى أرضه وكتب إلى أبي موسى الأشعري ان لا يجالسه أحد من المسلمين فاشتد ذلك على الرجل

^٨ أخرجه الأجري في كتابه الشريعة ص ٤٨، واللالكائي في كتابه شرح أصول اعتقاد

أهل السنة ص ١٣٤، وابن بطة في كتابه الإبانة، وانظر الإعتصام للشاطبي ١/١٤٤.

^٩ شرح اعتقاد أهل السنة لللالكائي ص ٧٥ برقم ٣١٥

فكتب أبو موسى إلى عمر أن قد حسنت توبته فكتب عمر أن يأذن للناس بمجالسته وفي رواية أخرى أن رجلاً يقال له صبيغ قدم المدينة فجعل يسأل عن مثابه القرآن فأرسل إليه عمر وقد أعد له عراجين النخل فقال من أنت قال أنا عبد الله صبيغ فأخذ عمر عرجونا من تلك العراجين فضربه وقال أنا عبد الله عمر فجعل له ضرباً حتى دمي رأسه فقال يا أمير المؤمنين حسبك قد ذهب الذي كنت أجد في رأسي^{١٠}.

قال أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي^{١١} في كتاب: اعتقاد السنة (اعلموا رحمنا الله وإياكم أن مذهب أهل الحديث أهل السنة والجماعة: الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله. وقبول ما نطق به كتاب الله تعالى، وصحت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لا معدل عن ما وردا به ولا سبيل إلى رده، إذ كانوا مأمورين باتباع الكتاب والسنة، مضموناً لهم الهدى فيهما، مشهوداً لهم بأن نبيهم صلى الله عليه وسلم يهدي إلى صراط مستقيم، محذرين في مخالفته الفتنة والعذاب الأليم. ويعتقدون أن الله تعالى

^{١٠} رواه الدارمي في السنن في المقدمة باب من هاب الفتيا وكره التنطع والبدع برقم (١٤٨)

^{١١} أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن اسماعيل بن العباس الإسماعيلي مات سنة نيف وسبعين وثلاثمائة وجمع بين الفقه والحديث ورياسة الدين والدنيا وصنف الصحيح وأخذ عنه ابنه أبو سعد وفقهاء جرجان وصنف صحيحاً على شرط البخاري رحمه الله يدل على فضل كثير لمن وقف عليه أخبرنا الشريف أبو بكر أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد المرزوي الواعظ بدمشق قال قال لنا الشيخ الحافظ أبو نصر هبة الله بن عبد الجبار بن فاخر بن معاذ بن أحمد بن محمد السجزي بسجستان أبو بكر الإسماعيلي شيخ كبير جليل ثقة من الفقهاء والمحدثين في عصره يرجع إلى علم وافر ومعرفة بالحديث صادقة ومروءة ظاهرة وكانت إليه الرحلة في زمانه تبين كذب المفترى (١/١٩٧)

مدعو بأسمائه الحسنی وموصوف بصفاته التي سمي ووصف بها نفسه ووصفه بها نبيه صلى الله عليه وسلم. خلق آدم بيده. ويدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء، بلا اعتقاد كيف. وأنه عز وجل استوى على العرش، بلا كيف، فإن الله تعالى انتهى من ذلك إلى أنه استوى على العرش ولم يذكر كيف كان استواؤه. وأنه مالك خلقه وأنشأهم لا عن حاجة إلى ما خلق ولا معنى دعاه إلى أن خلقهم، لكنه فعال لما يشاء ويحكم كما يريد، لا يسأل عما يفعل، والخلق مسؤولون عما يفعلون. وأنه مدعو بأسمائه الحسنی، وموصوف بصفاته التي سمي ووصف بها نفسه، وسماه ووصفه بها نبيه عليه الصلاة والسلام. لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ولا يوصف بنقص أو عيب أو آفة، فإنه عز وجل تعالى عن ذلك).

فمن موقف عمر رضي الله عنه من صبيغ وقول عمر بن عبد العزيز السابق مع قول الأوزاعي، وختاماً بقول الاسماعيلي يتضح هذا الملمح من مذهب أهل السنة بضرورة الوقوف عند النصوص الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين وعدم تجاوزها إلى الأقوال المحدثه.

الملمح الرابع النبع عن الجدال والمخاصمة والمناظرة

كان علماء السنة في كل عصر وزمان ينهون عن الجدل والخصومات في الدين ويحذرون من ذلك أشد التحذير حتى كان آخرهم في ذلك أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رضي الله عنه وأرضاه فكان أشد أهل زمانه في ذلك قولاً وأوكده فيه رأياً وأخذ به على الخلق وأنصحهم لهم صبر في ذلك على البلاء من فتنته الضراء والسراء والشدة والرخاء والضرب الشديد بعد طول الحبس في ضنك الحديد

فما جنى على المسلمين جناية أعظم من مناظرة المبتدعة ولم يكن لهم قهر ولا ذل أعظم مما تركهم السلف على تلك الجملة يموتون من الغيظ كمداً ولا

يجدون إلى إظهار بدعتهم سبيلا حتى جاء بعض المتكلمين ففتحو لهم إليها طريقا وصاروا لهم إلى هلاك الإسلام دليلا حتى كثرت بينهم المشاجرة والمناظرة وطرقت أسماع من لم يكن عرفها من الخاصة والعامة حتى تقابلت الشبه في الحجج وانطمست معالم السبيل.

وقال الخلال في كتاب السنة: فالحمد لله ثم الله الله يا إخوانه من أهل السنة والجماعة والمحبة للسلامة والعافية في أنفسكم وأديانكم فإنما هي لحومكم ودماءكم لا تعرضون لما نهى الله عنه عز وجل من الجدل والخوض في آيات الله وأكد ذلك رسول الله وحذر منه وكذلك أئمة الهدى من بعده من أصحاب رسول الله الذين ارتضاهم لصحبة نبيه واختاره لهم^{١٢} ومثل ذلك قول البربهاري في كتابه شرح السنة.

(فالكلام والخصومة والجدال والمراء يحدث يقدح الشك في القلب وإن أصاب صاحبه الحق والسنة)^{١٣}

وقال ابن قدامة المقدسي في لمعة الاعتقاد (ومن السنة هجران أهل البدع ومباينتهم وترك الجدال والخصومات في الدين وترك النظر في كتب المبتدعة والإصغاء إلى كلامهم وكل محدثة بدعة وكل متسم بغير الإسلام مبتدع)^{١٤} قال الإمام أحمد في أصول السنة: (وأن لا يخاصم أحدا ولا يناظره ولا يتعلم الجدال فإن الكلام في القدر والرؤية والقرآن وغيرها من السنن مكروه ومنهي

^{١٢} كتاب السنة لأبي بكر الخلال (٢٢٩/١)

^{١٣} شرح السنة لأبي محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري طبعة دار المنهاج

الرياض الطبعة الثانية ١٤٢٨ هـ صفحة ٣٩

^{١٤} لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد لموفق الدين ابن قدامة المقدسي طبعة دار

المنهاج القاهرة الطبعة الأولى ٢٠٠٢ م صفحة ١١٣

عنه لا يكون صاحبه وإن أصاب بكلامه السنة من أهل السنة حتى يدع الجدل ويؤمن بالآثار) ^{١٥}

وروى اللالكائي في كتاب السنة عن الحسن البصري أن رجلاً أتاه فقال يا أبا سعيد إنني أريد أن أخاصمك فقال الحسن إليك عني فإني قد عرفت ديني وإنما يخاصمك الشاك في دينه ^{١٦}

ورواه الآجري في كتاب الشريعة بلفظ: جاء رجل إلى الحسن فقال: يا أبا سعيد تعال حتى أخاصمك في الدين فقال الحسن: أما أنا فقد أبصرت ديني فإن كنت أضللت دينك فالتمسه

الملح الخامس: تقديم الآثار والنصوص على الأقيسة العقلية

كثير من أنصار الاتجاه العقلي الذين تركوا الآثار واستخدموا أسلوب المناظرات العقلية وخاضوا في مسائل الاعتقاد فأحدثوا وابتدعوا نهجا غير نهج السلف الصالحين، وسموا أنفسهم بأهل السنة فشنع علماء السنة عليهم حتى قال اللالكائي:

(ظهر قوم أجلاف زعموا أنهم لمن قبلهم أخلاف وادعوا أنهم أكبر منهم في المحصول وفي حقائق المعقول وأهدى إلى التحقيق وأحسن نظرا منهم في التدقيق وأن المتقدمين تفادوا من النظر لعجزهم ورغبوا عن مكالمتهم لقلة فهمهم وأن نصرة مذهبهم في الجدل معهم حتى أبدلو من الطيب خبيثا ومن القديم حديثا وعدلوا عما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعثه الله عليه وأوجب عليه دعوة الخلق إليه وأمتن على عباده إتمام نعمته عليهم

^{١٥} أصول السنة. أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الناشر: دار المنار -

الخرج - السعودية الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - صفحة ١٧

^{١٦} شرح أصول اعتقاد أهل السنة لهبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي برقم

بالهداية إلى سبيله فقال تعالى واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به فوعظ الله عز وجل عباده بكتابه وحثهم على اتباع سنة رسوله وقال في آية أخرى ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة لا بالجدال والخصومة

فرغبوا عنهما وعولوا على غيرهما وسلكوا بأنفسهم مسلك المضلين وخاضوا مع الخايضين ودخلوا في ميدان المتحيرين وابتدعوا من الأدلة ما هو خلاف الكتاب والسنة رغبة للغلبة وقهر المخالفين للمقالة ثم اتخذوها ديناً واعتقاداً بعدما كانت دلائل الخصومات والمعارضات وضلّوا من لا يعتقد ذلك من المسلمين وتسموا بالسنة والجماعة ومن خالفهم وسموه بالجهل والغبوة فأجابهم إلى ذلك من لم يكن له قدم في معرفة السنة ولم يسع في طلبها لما يلحقه فيها من المشقة وطلب لنفسه الدعة والراحة واقتصر على اسمه دون رسمه لاستعجال الرياسة ومحبة اشتهار الذكر عند العامة والتقلب بإمامة أهل السنة وجعل دأبه الاستخفاف بنقله الأخبار وتزهد الناس أن يتدينوا بالآثار لجهله بطرقها وصعوبة المرام بمعرفة معانيها وقصور فهمه عن مواقع الشريعة منها ورسوم التدين بها حتى عفت رسوم الشرايع الشريفة ومعاني الإسلام القديمة وفتحت دواوين الأمثال والشبه وطويت دلائل الكتاب والسنة وانقرض من كان يتدين بحججها للأخذ بالثقة والتمسك بهما للضنة ويصون سمعه عن هذه البدع المحدثّة وصار كل من أراد صاحب مقالة وجد على ذلك الأصحاب والاتباع وتوهم أنه ذاق حلاوة السنة والجماعة بنفاق بدعته وكلا أنه كما ظنه أو خطر بباله إذ أهل السنة لا يرغبون عن طرائقهم من الاتباع ولو نشروا بالمناشير ولا يستوحشون لمخالفة أحد بزخرف قول من غرور أو بضرب أمثال زور)^{١٧}

^{١٧} شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١٧/١)

وقال ابن قدامة (عليك بآثار من سلف، وأن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال، وإن زخرفوه لك بالقول) ^{١٨} و قول أبو عبد الله الأدرمي لرجل تكلم ببدعة ودعا الناس إليها، (هل علمها رسول الله وأبو بكر وعمر وعثمان قال بل علموها. قال فشيء لم يعمل هؤلاء، أعلمته أنت؟ قال الرجل فأني أقول: قد علموها. قال أفوسعهم أن لا يتكلموا به ولا يدعوا الناس إليه أم لم يسمعهم؟ قال بل وسعهم. قال فشيء وسع رسول الله وخلفاءه لا يسمعك أنت فانقطع الرجل، فقال الخليفة الواثق بالله كان حاضراً لا وسع الله علي حتى لم يسمعه ما وسعهم) ^{١٩} فيقول علماء أهل السنة إن الدين إنما جاء من قبل الله تبارك وتعالى لم يوضع على عقول الرجال وآرائهم وعلمه عند الله وعند رسوله فقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته السنة وأوضحها لأصحابه وهم الجماعة وهم السواد الأعظم

والسواد الأعظم على الحق فمن خالف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء من أمر الدين فلا ينبغي أن يتسمى بالسنة فليس في السنة قياس ولا تضرب لها الأمثال ولا تتبع فيها الأهواء بل هو التصديق بآثار رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا كيف ولا شرح ولا يقال لم ولا كيف فالكلام والخصومة والجدال والمراء محدث يقدح الشك في القلب وإن أصاب صاحبه الحق والسنة.

الملح السادس التسليم والقبول لكل ما ورد في القرآن والسنة

اتسم منهج أهل السنة أيضاً بالتسليم والقبول لكل ما ورد في القرآن والسنة من صريح الآيات وصحيح الأخبار، يقرأونها ويروونها ويتلقونها بالتسليم والقبول لا يردونها ولا يتأولونها كما قال الإمام موفق الدين ابن قدامة (كل ما جاء في

^{١٨} أخرجه الأجرى في الشريعة صفحة ٦٤ برقم ١٢٧

^{١٩} أخرجه الأجرى في كتابه الشريعة، ص ١٢٧، والهروي في كتابه ذم الكلام، وانظر:

موقف الدين القدسي، ص ٤٨، ط ١، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م، تحقيق على سمعة الاعتقاد.

القرآن أو صح عن المصطفى عليه السلام صفات الرحمن وجب الإيمان به وتلقيه بالتسليم والقبول وترك التعرض له بالرد والتأويل والتشبيه والتمثيل، وما أشكل من ذلك وجب إثباته لفظاً وترك التعرض لمعناه ونرد علمه إلى قائله ونجعل عهده على ناقله اتباعاً لطريق الراسخين في العلم الذين أثنى الله عليهم في كتابه المبين بقوله سبحانه وتعالى {والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا}، وقال في ذم مبتغي التأويل لمتشابه تنزيهه { فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله}، فجعل ابتغاء التأويل علامة على الزيغ وقرنه بابتغاء الفتنة في الذم ثم حجبهم عما أملوه وقطع أطماعهم عما قصدوه بقوله سبحانه {وما يعلم تأويله إلا الله}. وقال الإمام أحمد بن حنبل ٢٠ في مقدمة كتابه (أصول السنة):

(أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والافتداء بهم وترك البدع وكل بدعة فهي ضلالة وترك الخصومات في الدين والسنة تفسر القرآن وهي دلائل القرآن

وليس في السنة قياس ولا تضرب لها الأمثال ولا تدرك بالعقول ولا الأهواء إنما هو الإتيان وترك الهوى ومن السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقبلها ويؤمن بها لم يكن من أهلها الإيمان بالقدر خيره وشره والتصديق بالأحاديث فيه والإيمان بها لا يقال لم ولا كيف إنما هو التصديق والإيمان بها ومن لم يعرف تفسير الحديث ويبلغه عقله فقد كفي ذلك وأحكم له فعله الإيمان به والتسليم مثل حديث الصادق المصدوق ومثل ما كان مثله في القدر ومثل أحاديث الرؤية كلها وإن نبت عن الأسماع واستوحش منها المستمع وإنما عليه الإيمان بها وأن لا يرد منها حرفاً واحداً وغيرها من الأحاديث المأثورات عن

٢٠ أحمد بن محمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤١ هـ.

الثقات وأن لا يخاصم أحدا ولا يناظره ولا يتعلم الجدل فإن الكلام في القدر والرؤية والقرآن وغيرها من السنن مكروه ومنهي عنه لا يكون صاحبه وإن أصاب بكلامه السنة من أهل السنة حتى يدع الجدل ويؤمن بالآثار^{٢١}.

وقال في مقدمة معارج القبول

وقد أخبرنا الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم أن الفرقة الناجية هم من كان على مثل ما كان عليه هو وأصحابه.. فأمنوا بما أخبر الله به من كتابه وأخبر به عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم في سنته وتلقوه بالقبول والتسليم إثباتا بلا تكيف ولا تمثيل وتزيها بلا تحريف ولا تعطيل وجاء في معارج القبول:

وكل ما له من الصفات... أثبتها في محكم الآيات...

أو صح فيما قاله الرسول... فحقه التسليم والقبول...

نمرها صريحة كما أتت... مع اعتقادنا لما له اقتضت...

من غير تحريف ولا تعطيل... وغير تكيف ولا تمثيل...

بل قولنا قول أئمة الهدى... طوبى لمن بهديهم قد اهتدى^{٢٢}

وهكذا تضافرت أقول أهل العلم على هذه السمة من ضرورة التسليم لكل ما ورد في المصدرين الأصليين الكاب والسنة وتلقيه بالتسليم والقبول وترك التعرض له بالرد والتأويل والتشبيه والتمثيل، وما أشكل من ذلك وجب إثباته لفظا وترك التعرض لمعناه ويرد علمه إلى قائله وتجعل عهده على ناقله كما مر عن المقدسي

^{٢١} أصول السنة. أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني صفحة ١٧

^{٢٢} معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول المؤلف: حافظ بن أحمد حكيم الناشر: دار ابن القيم - الدمام الطبعة الأولى، ١٤١٠ - ١٩٩٠ تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر

الملح السابع التوسط بين الإفراط والتفريط

وأهل السنة هم الوسط في فرق هذه الأمة كما أن هذه الأمة هي الوسط في الأمم فهم وسط في باب صفات الله تعالى بين أهل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل المشبهة وهم وسط في باب أفعال الله تعالى بين الجبرية والقدرية وفي باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية من القدرية وغيرهم وفي باب الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية وفي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الرافضة والخوارج فهم وأهل السنة والجماعة وقال عمر بن عبد العزيز عن منهج السلف رضي الله عنهم (فما فوقهم محسر وما دونهم مقصر لقد قصر عنهم قوم فجفوا وتجاوزهم آخرون فغلوا وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم)^{٢٣}

فاعتقاد سلف الأمة وأئمة الدين وهو مخالف لاعتقاد المشبهين واعتقاد المعطلين فهو كالخارج من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين، فهو وسط بين طرفين وهدى بين ضلالتين وحق بين باطلين وبالله التوفيق.

^{٢٣} ذم التأويل المؤلف: عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد الناشر: الدار

السلفية - الكويت الطبعة الأولى، ١٤٠٦ تحقيق: بدر بن عبد الله البدر (٣٣/١)

الخاتمة

في خاتمة هذا البحث وبعد العرض لمنهج أهل السنة من خلال الكتب التي صنفوها في تناول ومعالجة مسائل العقيدة، فالملاحظ في كتب السلف أنهم ألفوا كتباً ورسائل تبين ما يجب على المسلم اعتقاده إجمالاً وتفصيلاً و اعتمدوا على الآثار المسندة عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين في وقت كثرت فيه الفرق التي تنتسب لمذهب أهل السنة حتى اختلط على الناس الأمر فأصبحوا لا يدرون ما السنة وما البدعة فكثير من أهل الكلام تسموا بالسنة مع أنهم يصرحون بأن السنة ليست حجة في دين الله في أبواب الاعتقاد، وأن العقل مقدم على النقل، عند توهم التعارض، وأن حديث الآحاد ليس حجة في العقائد ، فكان لزاماً توضيح ذلك التباين بين المنهجين

فبينت في هذا البحث أهم السمات التي اتسم بها منهج أهل السنة في تناول مسائل الاعتقاد قبل ظهور المتكلمين وقد ظهرت تلك السمات في نتائج هذا البحث على النحو التالي:

النتائج:

كان علماء السنة يعتمدون في الاستدلال على مسائل الاعتقاد على النصوص الشرعية من الكتاب والسنة فيذكرون الآيات والأحاديث الواردة بأسانيدھا وكان علماء السنة يعرضون المسائل بأسلوب سهل مباشر وكان علماء السنة لا يكثرّون التفريعات والتوليدات في المسائل العقدية، وكان علماء السنة ولا يخوضون في الخصومات كان علماء السنة، يقفون عند النصوص، يقدسونها ولا يتجاوزونها. أدخل المتكلمون مصطلحات الفلاسفة على علم العقيدة، وأكثر المتكلمون التفريعات والتطويل في المسائل، واتسم منهج المتكلمين بالغموض والتعقيد، وأكثروا التأويلات للنصوص، اعتمد المتكلمون أسلوب الجدل والخصومات والمناظرات، والتكلف والتعسف